



آباء وقنابل

د/ أحمد بن حامد الغامدي
جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية

أعلن يوم أمس، الأحد- العاشر من أكتوبر/ تشرين الأول 2021 عن وفاة العالم الباكستاني الشهير عبد القادر خان، مهندس البرنامج النووي الباكستاني والمعروف بجداره بلقب (أبو القنبلة الذرية الباكستانية) والبعض يتسهل في المديح حين يصفونه (بأبو القنبلة الذرية الإسلامية). توفي عبد القادر خان رحمه الله عن عمر يناهز 85 سنة وبعد إصابته بمرض الكورونا، وهو بهذا ختم حياته الطويلة والتي تذبذبت بين الانتصارات والهزائم والتكريم والتحجيم.

لكامل الشعب الباكستاني يعتبر عبد القادر خان بطل قومي ولغالبية الشعوب العربية والإسلامية يعتبر كذلك شخصية جديرة بالتقدير والإعجاب، بينما هو في عين الحكومات الغربية شخصية خطيرة تم اتهامها بالمساهمة في نشر أسلحة الدمار الشامل. ونظير الحرج الذي وقعت فيه الحكومة الباكستانية تم التضييق وفرض الإقامة الجبرية على عبد القادر خان عام 2004م بعد اتهامه بنقل خبرة تصنيع القنبلة الذرية لدول مثيرة للجدل مثل إيران وليبيا وكوريا الشمالية.

يقال إن المعرفة قوة، وأحيانا هذه المعرفة قد تسبب الشقاء لمن يمتلكها، وهذا ما حصل مع مجموعة من العلماء الذين شاركوا أو حاولوا المشاركة في تصنيع القنابل الذرية. ربما بعلم الحكومة الباكستانية وبموافقتها حاول عبد القادر خان نشر البراعة التقنية (know-how) في تصنيع القنبلة الذرية لدول أخرى كمحاولة لإكساب الحكومة الباكستانية قوة ناعمة متفجرة تعزز من مكانتها في المجتمع الدولي. ولكن هذه لعبة خطيرة، وسهل جدا أن تعطي نتائج معاكسة ولهذا انقلبت الحكومة الباكستانية على أي القنبلة الذرية الباكستانية كما انقلبت سابقاً الحكومة الأمريكية على أي القنبلة الذرية الأمريكية.

على نفس النسق يعتبر الشعب الأمريكي عالم الفيزياء الأمريكي روبرت أوبنهايمر بطل قومي رفيع المستوى، وذلك لقيادته العلمية لمشروع مانهاتن لتصنيع السلاح النووي، ولهذا يوصف أوبنهايمر بأنه أبو القنبلة الذرية. المشكلة أنه كما حامت الشكوك والشبهات حول عبد القادر خان بأنه يحاول نشر المعرفة العلمية لتصنيع القنبلة الذرية تعرض كذلك أوبنهايمر لشيء مشابهة تقريبا. بعد تفجير أول قنبلة ذرية في التاريخ على يد أوبنهايمر وفي بداية سنوات الحرب الباردة حصل اشتباه بأن أوبنهايمر يتعاطف مع الشيوعيين وأنه ربما يسهل تسريب المعرفة العلمية لتصنيع القنبلة الذرية إلى الاتحاد السوفيتي. ولهذا تم منع أوبنهايمر من العمل في هيئة الطاقة الذرية ولاحقا في فترة المكارثية الشهيرة تعرض للعديد من المضايقات لدرجة أنه حصلت بالفعل محاكمته بتهمة الشك في ولائه للولايات المتحدة.

ومن المهازل في تاريخ العلم أن العالم الأمريكي اليهودي إدوارد تيللر الملقب بأبي القنبلة الذرية الهيدروجينية شهد في المحكمة ضد أوبنهايمر وحاول تثبیت تهمة ارتباطه برجال من ذوي الفكر اليساري. بينما نجد في المقابل، أن عالم الفيزياء الإيطالي الشهير أنريكو فيرمي (يستحق لقب الأب الروحي لأول قنبلة ذرية في التاريخ) يشهد في تلك المحكمة مع أوبنهايمر ويحاول ابعاد التهمة عنه، ومع ذلك وبشيء من الصراحة، ربما تكون الحكومة الأمريكية على حق في التشدد في منع نشر المعرفة التقنية لتصنيع القنابل الذرية والشك في ولاء العلماء الذين أنتجوا (أو نقول ولّدوا) القنابل الذرية.



ومن الطريف أن (أبو القنبلة الذرية السوفيتية) ليس عالم فيزياء روسي بل هو عالم فيزياء ألماني. وهذا ما كان من عالم الفيزياء الألماني كلاوس فوكس والذي كان في الواقع جاسوس استطاع الشيوعيون زرعه في مشروع مانهاتن لتصنيع القنبلة الذرية، وبهذا استطاع أن يسرب معلومات على درجة عالية من الأهمية. ولذا يقال إن كلاوس فوكس هو من ساعد علماء الفيزياء في الاتحاد السوفيتي في تسريع تصنيعهم لأول قنبلة ذرية والتي فجرها عام 1953 ميلادي.

عدد كبير من العلماء الذين ارتبطوا بتصنيع القنابل الذرية واجهتهم المشاكل السياسية المتعددة في حياتهم، فهذا عالم الفيزياء الألماني الشهير فيرنر هايزنبرغ المعروف لجميع طلاب المدارس الثانوية والجامعات بقانونه (قانون هايزنبرغ لعدم اليقين) في نظرية الكم والحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1932 ميلادي. فمع كل هذا البريق في دنيا العلوم إلا أن سمعته تلطخت عندما أصبح يقلب (بأي القنبلة الذرية النازية). لقد تولى هايزنبرغ القيادة العلمية لمشروع تصنيع القنبلة الذرية النازية بتكليف مباشر من الزعيم الألماني أدولف هتلر، ولهذا حاول الغرب ارسال جواسيس لاغتيال هايزنبرغ. طبعاً كما هو معلوم لم يتمكن هايزنبرغ من إكمال تصنيع القنبلة الذرية، ويوجد شك (عدم يقين على وفق مبدأ هايزنبرغ الشهير) أنه تعمد أن يعطل تصنيع القنبلة النووية النازية. في الواقع جواسيس الدول الغربية لم يجدوا حاجة ماسة لاغتيال أبو القنبلة الذرية النازية مع أنهم كانوا في لحظة حاسمة اثناء الحرب العالمية الثانية، ولذلك لم يكرروا المغامرة مرة ثانية عندما تعلق الأمر باغتيال (أبو القنبلة الذرية الإيرانية). كما هو معلوم تم العالم الماضي اغتيال أستاذ الفيزياء الإيراني محسن فخري زاده ورئيس البرنامج النووي الإيراني على يد الاستخبارات الإسرائيلية وقد تم مناقشة هذا الأمر والحوادث التاريخية المشابهة له في مقال حمل عنوان [\(علماء على قوائم الاغتيال\)](#).

بلا شك أن موضوع القنابل الذرية موضوع شائك وخطير ولهذا عندما يرتبط عالم برابطة (أبوه) ببرنامج تصنيع قنبلة ذرية سوف يكون محل تقدير مطلق أو محل تجريم ولعن مطلق، وهذا أمر متوقع عندما يكون الشخص (ذريته) وابنائته ونسله من بعده قنابل (ذرية).

وهذا الأمر كما هو متوقع لن يقف عند (الآباء) بل قد يصل حتى (للأمهات) وهذا ما حصل مع (أم القنبلة الذرية). لقد تعرضت عالمة الفيزياء الذرية النمساوية ليز مايتنر مكتشفة الانشطار النووي والملقبة بتجاوزا بأمر القنبلة النووية، فقد تعرضت للاضطهاد العلمي والتميز والاحجاف ضدها بسبب أنها امرأة، ولهذا تم تجاهل منحها جائزة نوبل بينما تم منح زملائها من الرجال هذه الجائزة مع أن اسهامهم العلمي أقل منها بكثير.

وبقي أن نقول في الختام أن (الأب) الوحيد الذي ساهم في تصنيع القنبلة الذرية لبلده ولاقى تكريم كامل من حكومته هو العالم والمهندس الهندي أبو بكر زين العابدين أبو الكلام، والذي يحزننا ويؤسفنا أن نقول بأنه يلقب (أبو القنبلة الذرية الهندية). لقد وصل من تكريم الشعب الهندي لهذا الرجل أن تم انتخابه عام 2002م في منصب رئيس الجمهورية الهندية. لقد خان العالم الهندي أبو بكر (أبو الكلام) أمته الإسلامية، ولهذا جلب على نفسه الكلام. وربما يستحق أن نلقبه بأبو رغال الهندي، وقد توفي غير مأسوفٍ عليه عام 2015م، بينما نحن اليوم ندعو بالرحمة والمغفرة للفقيد الكبير أبو القنبلة الذرية (الإسلامية) عبد القادر خان رحمه الله رحمة واسعة وجعل مثواه الجنة. آمين